أساليب خطاب الحب في نهج البلاغة

الاستاذ المساعد الدكتور
ناجح جابر الميالي
الباحث
حيدر وحيد مجيد
جامعة المثنى - كلية التربية للعلوم الانسانية

Methods of love speech in Nahj Al - Balagha

Dr.Najeh Jaber Al Mayali
Researcher Haider Waheed Majeed

الخلاصة :

الاقناع و الامتاع التركيبي في خطاب الحب الذي أبدعه الإمام علي (عليه السلام)في نهج البلاغة يقدم صيغة جمالية تظهرها بلاغة التركيب و قدرتها على توليد الإيحاءات ما يثير ذهن المتلقي و يجذبه نحو الفضائل التي تعمّق سبل الخير، و تقوي علاقته بالله تعالى ، و هذا يتجلى في الأساليب المختلفة من استفهام و نداء و دعاء و قسم و أمر، و هي أساليب توحي بانفعال الحب في خطابه ، و تفتح أمام المخاطَب عالما من الرؤى لا حدود له .

الكلمات المفتاحية : الخطاب ، الحب ، الاقناع ، الامتاع ، الاسلوب ، التركيب

Abstract:

Persuasion and synthesis in the love speech created by Imam Ali in the rhetoric approach provides aesthetic formula reflected in the eloquence of the composition and its ability to generate overtones what raises the mind of the recipient and attracts him to the virtues that deepen the ways of good, and strengthen his relationship with God Almighty, and this is manifested In the various methods of questioning, call, prayer, oath and command, these methods inspire the emotion of love in his speech, and open to the addressee a world of visions boundless.

Key word :Discourse, love, persuasion, pleasure, style, composition

المقدمة

تبدو الحاجة إلى الاقناع بارزة في سياق أي خطاب ، و يفقد هذا الخطاب رونقه إذا لم يشد المتلقي ، لذا يجب أن يكون ممتعا ليحقق تواصلا فعالا مع ذاك المتلقي ، و هذا ما سيوضح بحثنا من خلال تبيان أثر التراكيب اللغوية المشكّلة خطاب الحب لسيد البلغاء الإمام علي بن أبي طالب ﴿عليه السلام﴾ ، فكان العنوان(أسلوبية خطاب الحب في نهج البلاغة) ، و قد وضّح العنوان مرونة خطاب الحب في نهج البلاغة في الوصول إلى الذائقة الجمالية للمتلقي و أمتع ذاك المتلقي و أقنعه ، فاستقام بحثنا في مقدمة و عنوانات شتى كونت المناقشة ، ثم انتهى البحث بالاستنتاجات ، و أوردنا ثبتا بالمصادر و المراجع آملين أن يحقق بحثنا الفائدة و المتعة التي اقتدينا في سبيل الحصول عليها بخطابه ﴿عليه السلام﴾ خير القدوة ، فمن اقتدى به ما خاب .

يعد نهج البلاغة لأمير المؤمنين ﴿عليه السلام﴾ غنيا بالأطر التركيبية ذات الصبغة الجمالية لما يمتلكه المبدع العظيم من بلاغة أذهلت العقول وأدهشت النفوس. و سنعرض في هذا المبحث أساليبا مختلفة استعملها الإمام ﴿عليه السلام﴾ في رسم صور الحب " تفضي جميعها بإيحاءات لأساليب ، أو إثارات لذهن المتلقي تقنعه و تمتعه في رسم الصورة من وجوه مختلفة " [1] لموضوعات متعددة وصولا إلى الأداء الأدبي المتكامل " [2]،وعلى الرغم من اختلاف الصور و تعدد الموضوعات إلا أنها تتفق في اقناع المتلقي و امتاعه، و من هذه الاساليب :

١- الاستفهام

و قد ورد هذا اللون من الاساليب في خطاب الحب في نهج البلاغة من خطبة للإمام﴿عليه السلام﴾ يعظ فيها الناس و يبيّن قربه من رسول الله جاء فيها:((**أَيُّهَا النَّاسُ غَيْرُ الْمَغْفُولِ عَنْهُمْ وَ التَّارِكُونَ الْمَأْخُوذُ مِنْهُمْ مَا لِي أَرَاكُمْ عَنِ اللَّهِ ذَاهِبِينَ وَ إِلَى غَيْرِهِ رَاغِبِينَ ... وَ اللَّهِ لَوْ شِئْتُ أَنْ أُخْبِرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ**

بِمَخْرَجِهِ وَ مَوْلِجِهِ وَ جَمِيعِ شَأْنِهِ لَفَعَلْتُ وَ لَكِنْ أَخَافُ أَنْ تَكْفُرُوا فِيَّ بِرَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) أَلَا وَ إِنِّي مُفْضِيهِ إِلَى الْخَاصَّةِ مِمَّنْ يُؤْمَنُ ذَلِكَ مِنْهُ وَ الَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ وَ اصْطَفَاهُ عَلَى الْخَلْقِ مَا أَنْطِقُ إِلَّا صَادِقاً وَ قَدْ عَهِدَ إِلَيَّ بِذَلِكَ كُلِّهِ وَ بِمَهْلِكِ مَنْ يَهْلِكُ وَ مَنْجَى مَنْ يَنْجُو وَ مَآلِ هَذَا الْأَمْرِ وَ مَا أَبْقَى شَيْئاً يَمُرُّ عَلَى رَأْسِي إِلَّا أَفْرَغَهُ فِي أُذُنَيَّ وَ أَفْضَى بِهِ إِلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي وَ اللَّهِ مَا أَحُثُّكُمْ عَلَى طَاعَةٍ إِلَّا وَ أَسْبِقُكُمْ إِلَيْهَا وَ لَا أَنْهَاكُمْ عَنْ مَعْصِيَةٍ إِلَّا وَ أَتَنَاهَى قَبْلَكُمْ عَنْهَا))[٣] .

خلق الله الإنسان ومنحه أدوات العلم والمعرفة وهي العقل والسمع و البصر، و معرفة الله تعالى و خشيته تتم بمعرفة آياته الكريمة و مخلوقاته ، و العلماء هم الذين يعلمون ذلك ، و لذلك أثنى الله عليهم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾(فاطر:٢٨)، و فضّل الله الإنسان على سائر مخلوقاته ، كما أن التفضيل قائم بين بني الإنسان أنفسهم، فليس جميعهم على درجة سواء ، فحب الله تعالى و معرفته يأتي بحسب الاستعداد النفسي للإنسان : أي مقدار الحب و المعرفة الذي يستوعبه القلب قال تعالى: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴾ (الشورى:٢٧)،وقال تعالى: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا ﴾ (الرعد:١٧)، لذا فالمبدع العظيم بما يحمله من علم عظيم لا يستطيع كل إنسان حمله، بل يحمله من كان له الاستعداد الروحي الناتج عن حب الله تعالى و معرفته و خشيته ، فهو يشير في خطابه إلى أصناف محددة من الخاصة هم فقط من يفضي إليهم هذا العلم لاستعدادهم العالي لتقبله[٤] .

الشاهد في خطاب المبدع (**مَا لِي أَرَاكُمْ عَنِ اللَّهِ ذَاهِبِينَ**...)، حيث جاء الاستفهام بالأداة (ما) دقيقا في إيصال المعنى للسامع ، فتضمّن بين سطوره معنى التوبيخ: أي يحمل في ثناياه حب لردهم إلى الطريق السوي ، و ليصل

إلى هذا الحب جاء عن طريق التوبيخ لما له من أثر في النفس ينبهها إلى المطلوب " و زاد من تأثير الأسلوب الاستفهامي و تفاعل المتلقي معه مجيء الفعل المضارع بعد الاستفهام (**مَا لِي أَرَاكُمْ**) فقد أعطى سعة دلالية أفقية و طولية امتدت لوقت القارئ بما يؤيده حال الأمة الراهن ، فكان التجديد في صيغة المضارع لا يقتصر على زمن القارئ ، بل أعطى دلالة التجدد الحضوري الذي يمتد لما يأتي بعده ... و الاستفهام هنا هو المحور الأساس الذي تدور دلالة الخطاب حوله؛ إذ به يكمل المعنى و بدونه يختل... "[٥] ، و قد اتسمت الجملة الاستفهامية بسمة بلاغية زادت من وقعها على نفس المتلقي ، فقول المبدع : (**مَا لِي أَرَاكُمْ عَنِ اللَّهِ ذَاهِبِينَ**) كناية عن اعراضهم عن الله جلّ شأنه والتفاتهم الى غيره سبحانه و تعالى (**وَ إِلَى غَيْرِهِ رَاغِبِينَ**) إشارة الى رغبتهم في الحياة الدنيا و حبهم لها و تمسكهم الشديد بها ، و قد ساهمت المحسنات البديعية الوارده في النسق اللغوي من جمالية النص محققا في ذلك اقناع المتلقي و إمتاعه .

واسلوب الاستفهام نجده أيضا في قول الإمام ﴿عليه السلام﴾ من خطبة له يذكر فيها فضائل أهل البيت (عليهم السلام) جاء فيها : ((**فِيهِمْ كَرَائِمُ الْقُرْآنِ وَ هُمْ كُنُوزُ الرَّحْمَنِ إِنْ نَطَقُوا صَدَقُوا وَإِنْ صَمَتُوا لَمْ يُسْبَقُوا فَلْيَصْدُقْ رَائِدٌ أَهْلَهُ وَ لْيُحْضِرْ عَقْلَهُ وَ لْيَكُنْ مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ ... وَالْعَامِلُ بِالْعِلْمِ كَالسَّائِرِ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ أَ سَائِرٌ هُوَ أَمْ رَاجِعٌ وَ اعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ ظَاهِرٍ بَاطِناً عَلَى مِثَالِه فَمَا طَابَ ظَاهِرُهُ طَابَ بَاطِنُهُ وَ مَا خَبُثَ ظَاهِرُهُ خَبُثَ بَاطِنُهُ وَ قَدْ قَالَ الرَّسُولُ الصَّادِقُ (صلى الله عليه وآله) إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ وَ يُبْغِضُ عَمَلَهُ وَ يُحِبُّ الْعَمَلَ وَ يُبْغِضُ بَدَنَهُ**))[٦]. " للقرآن الكريم مكانة كبرى عند المسلمين لم تكن لأيّ كتاب آخر سواه فمنذ نزوله أحبُّوه ، وتَلَوْا ما تيَسَّر لهم منه آناء اللّيل وأطراف النّهار، وحَفِظُوا آياته، وحَفَّظوهُ أبنائهم، واعتنَوا بتفسيره، و استجلاء مقاصده، و قد كان هذا طبيعيّاً، فهو كتاب الله العظيم،

المستجمع لجميع عناصر الرّوحانية و الجمال، وهو الذي أوجدَ منهم أُمةً عظيمةَ الشّأن، منيعة الجانب ، سامية الحضارة ، محترمةً بين الشّعوب و الأمم ، بما أعطاهم من شخصيّة و سموٍّ في الذّات و المعنى، غير أنَّ القرآن الكريم كان له عند أهل بيت النّبوّة ـ بدءً بالإمام أمير المؤمنين عليّ ﴿عليه السلام﴾ومروراً بفاطمة الزّهراء (عليها السّلام) ثمّ الحسنين والأئمّة التّسعة مِن وُلْد الحسين ﴿عليه السلام﴾ـ مكانة أكبر، ومنزلَة أسمى فاقت ما لهذا الكتاب العظيم من المكانة والمنزلة عند غيرهم من المسلمين"[٧] . فقول الإمام ﴿عليه السلام﴾، **(فِيهِمْ كَرَائِمُ الْقُرْآنِ وَ هُمْ كُنُوزُ الرَّحْمَنِ إِنْ نَطَقُوا صَدَقُوا وَ إِنْ صَمَتُوا لَمْ يُسْبَقُوا ...)**: أي نزلت آياته الكريمة بفضلهم و عظمتهم، و هم خزنة علمه، و لا ينطقون عن الهوى " [٨] .

و كذا قوله ﴿عليه السلام﴾: **(فَمَا طَابَ ظَاهِرُهُ ... وَ يُحِبُّ الْعَمَلَ وَ يُبْغِضُ بَدَنَهُ)** ، فلما ذكر ان ما هو طيب الظاهر طيب الباطن و ما هو خبيث الظاهر خبيث الباطن عقّبه بحديث النبي الاكرم محمد ﴿ صلى الله عليه وآله وسلم ﴾ لتنبيه السامعين و إيقاظهم بأن العبد قد يكون محبوبا بشخصه ولكن عمله مبغوضا و قد يكون العكس ، فاللازم إذا كان العبد محبوب الذات لله تبارك و تعالى و مبغوض العمل ان يجد الوسيلة التي تحبب عمله الى الباري جلّ علاه لكي يتوافق عمله مع نفسه في المحبوبية ، و إذا كان مبغوض البدن محبوب النفس ، أن يجدّ في تحبيب نفسه اليه لكي يتوافق عمله مع نفسه[٩] .

من أكثر سبل المحاججة و البرهان تقديم أسئلة توقظ غفلة الناس ، و تحرص على تفعيل الجوانب الكامنة في شخصية الآخر المتلقي ،ربما لذلك جعل المبدع العظيم الاستفهام أداته في تحفيز عملية الاقناع المرنة الممتعة حين قال **(أ سائر أم راجع)** ، و خصوصا ان اسلوب الاستفهام سبق بتركيب فلينظر ناظر ما يعني أنه استفهام واع بعيد كل البعد عن العبثية فأعطى جمالية ممتعة ، و أسلوب الاستفهام هنا يمثل فضاء زمنيا موحيا يلائم مساحة الوعي ،

و يشكل إشارة عقلية توحي بتبصر الأمور، و التأكد من ماهيتها قبل المضي قدما في دروب الحياة ، و هذا الأمر يحقق متعة تجذب النفس؛ لأن الخطا الواثقة تعطي شخصية متزنة قادرة على التجاوز بثبات ، و لما كان هناك خيط يصل بين المستفهِم و المستَفهَم عنه كان لزاما أن تتسع دوائر الاقناع الفكري ، و ذاك الخيط هو الحقيقة التي نستشفها من السؤال ذاته، فمعمارية السؤال هنا لا تختزل في أداة الاستفهام فقط ، لأنه تركيب متماسك الأجزاء يبدأ بالأداة و ينتهي بإشارة الاستفهام ، بما يقدم وجود تلك الإشارة من نبرة انفعالية مؤثرة و مقنعة معا ، و من الطبيعي ان نكون أمام الاقناع ؛ لأن الاستفهام هو طلب الفهم ، لذا نرى فيه صدقا شعوريا ، و متانة في البناء التركيبي العاكس شعور المتلقي ، و ما نلاحظه أن أسلوب الاستفهام أتى بحقيقة(**الْعَامِلُ بِالْعِلْمِ كَالسَّائِرِ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ**) ما يزيد الاقناع طبيعية ، و حين تكون القناعة لأمر معيش مفروض تسهم في تحفيز اثارة المتعة المنبثقة من تلك القناعة .

فالاستفهام بالهمزة المسبوق بفعل الأمر (**فَلْيَنْظُرْ**)(**فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ أَ سَائِرٌ هُوَ أَمْ رَاجِعٌ**) ، هو أمر من الإمام ﴿عليه السلام﴾ يعد مقدمة للاستفهام و تمهيدا للإقناع و طلبا مباشرا لإحالة هذا الموضوع إلى العقل، فالنظر بالعقل هو توجيه لبصيرة المتلقي ، و دعوة صريحة للتفكر في سلوك طريق الحق ،و يمثل الاستفهام الوارد في النسق اللغوي حلقة الوصل في التسلسل الدلالي لبيان فضيلة العلم المقترن بالعمل ،وكذا تلويحه وإشاراته الى وجوب اتباع الأئمة [١٠]

٢- النداء

قال صاحب اللسان : " النَّدَى البَلَلُ والنَّدَى ما يَسْقُط بالليل والجمع أَنْداءٍ وأَندِيةٌ على غير قياس "[١١]، و في الاصطلاح يُعرّف النداء بأنه : " التصويت بالمنادي ليعطف على المنادى، و النداء مصدر ، يُمد و يقصر فمن مده جعله من قبيل الاصوات كالصراخ و البكاء و الدعاء و الرغاء و من قصره جعله كالصوت و الصوت غير ممدود ..." [١٢] .

النداء من الاساليب العربية التي تضفي جمالا على النص ؛ لأنه " اسلوب متحرر من قيود كثيرة ، فمنشئ النص ، أو المتحدث يعبر بصور كثيرة من التعبيرات التي تنطوي تحت هذا الاسلوب " (١٣) .

ورد أسلوب النداء في نصوص نهج البلاغة بأدواته المختلفة ، فمن كلام للإمام أمير المؤمنين ﴿عليه السلام﴾ قاله و هو يلي غسل رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ و تجهيزه : ((**بِأَبِي أَنْتَ وَ أُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدِ انْقَطَعَ بِمَوْتِكَ مَا لَمْ يَنْقَطِعْ بِمَوْتِ غَيْرِكَ مِنَ النُّبُوَّةِ وَ الْإِنْبَاءِ وَ أَخْبَارِ السَّمَاءِ خَصَّصْتَ حَتَّى صِرْتَ مُسَلِّياً عَمَّنْ سِوَاكَ وَ عَمَّمْتَ حَتَّى صَارَ النَّاسُ فِيكَ سَوَاءً وَ لَوْ لَا أَنَّكَ أَمَرْتَ بِالصَّبْرِ وَ نَهَيْتَ عَنِ الْجَزَعِ لَأَنْفَدْنَا عَلَيْكَ مَاءَ الشُّؤُونِ وَ لَكَانَ الدَّاءُ مُمَاطِلًا وَ الْكَمَدُ مُحَالِفاً وَ قَلًّا لَكَ وَ لَكِنَّهُ مَا لَا يُمْلَكُ رَدُّهُ وَ لَا يُسْتَطَاعُ دَفْعُهُ بِأَبِي أَنْتَ وَ أُمِّي اذْكُرْنَا عِنْدَ رَبِّكَ وَ اجْعَلْنَا مِنْ بَالِكَ**))(١٤) .

كما ينبغي للمؤمن أن يحب الله تعالى لجماله و نعمه عليه ، فينبغي للمؤمن أن يحب النبي الأكرم ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ لجماله نفسه و لاهتمامه بالمؤمنين و حبه لهم(١٥) قال تعالى : ﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ (التوبة: ١٢٨)، و أي حب أعظم من حب الإمام علي ﴿عليه السلام﴾ للنبي ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ ، فقوله ﴿عليه السلام﴾:(**بأبي أنت و أمي**): أي " أجعل أبواي فداك و التفدية هي كلمة معتادة للعرب تقال لمن يعزّ عليهم حتى انه اعزّ و ارجح عنده من أبويه بحيث يجعلهما فداء له " (١٦).

نلحظ في كلام المبدع العظيم نوادر زادت الاسلوب جمالا ، و أثارت المتلقي شوقا و إمتاعا ، فالخطاب موجه للنبي ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ و مقام النص الموقف الحزين ، فالإمام يفقد عزيزا و أخا لا نظير له مطلقا ، و هنا تكمن نادرة العفوية و السجية الخالية من الشوائب في اختيار الاسلوب المعبر و الصدق الدلالي ،و لا ريب أن جميع نصوص أمير المؤمنين ﴿عليه السلام﴾ تتسم بالعفوية و

السجايا الصادقة ، بيد أن هذا المقام لا يبقي للشبهة مجالا ، و يؤكد أيضا صدق الإمام في كون النبي ﴿ ﷺ ﴾ هو المثل الأعلى له في المواقف كلها على الإطلاق ، و موقف الحزن هذا يمثل أهدأ مواقف الحب ،و هذا الأسلوب يوحي بأن النبي الأكرم يمثّل صورة المحبوب الأوحد للمبدع العظيم و كان في ذلك مثال التطبيق العملي للحديث الشريف " **لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده و ولده و الناس أجمعين** " [١٧] ، و وظّف المبدع هذا الحب الحب فكريا و نفسيا وفق ما تقتضي الصورة النبوية المرسومة في النص[١٨].

و أما الاسلوب الرئيس في موضوعنا و هو (النداء) ، الذي كانت مناسبته وفاة النبي ﴿ ﷺ ﴾ ، نلحظ أن المبدع يبدأ بنداء الرسول الأكرم بعد قوله :(**بِأَبِي أَنْتَ وَ أُمِّي**) المتعلق بمحذوف تقديره (**أفديك**) بـــ (**يا**) النداء التي تتميز عن غيرها من أدوات النداء الأخرى ؛ لأن النداء بوساطتها يمنح البناء التركيبي بعدا زمنيا بنفس أطول من غيره من أدوات النداء (**اللهم و الهمزة وغيرها**) يتناسب و مقام النص و الموقف الحزين له ﴿عليه السلام﴾ الذي يعكس طول المدة الزمنية للحزن التي خصّت اهل البيت (عليهم السلام) حتى أنهم لا يكترثون بما يصيبهم بعده من المصائب ، و عمّت الناس أيضا حتى استوى الخلائق كلهم فيها ؛ لأن الانقطاع الذي حدث بوفاته لم يحدث مثيل له بوفاة نبي من الأنبياء ؛ لأنه خاتم الانبياء و المرسلين، قال تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ (الاحزاب:٤٠)، و أراد المبدع بأخبار السماء يعني الوحي ، و لفظ السماء مستعار لما علا في المعنى من سماء عالم الغيب و مقامات الملإ الأعلى ، فطول امتداد النفس في حرف النداء (**يا**) جاء متواشجا مع طول مدة الحزن ،وإن اختيار المبدع لأداة نداء القريب لنداء البعيد يكسب المنادى دلالة جديدة هي (**التعظيم**) و التعبير عن شعور المبدع و شوقه المستمر إلى المنادى وهو النبي الأكرم ، أما صدارة

الاداة فكانت بمثابة المنبّه الذي قامت عليه صورة النص بما تحمله من أساليب بلاغية [١٩]، ففي النداء محاولة خلق روابط ، و في الروابط انسجام ، و في الانسجام حب، ما يعزز خطاب الحب ، و يعزز معه اقناعنا و امتاعنا حين أكد رغبته في فداء النبي و صرّح بحبه و بسلبية فقده .

و من وصية له يوصي بها ولده الحسن ﴿عليه السلام﴾ جاء فيها : ((**وَ اعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ الرِّزْقَ رِزْقَانِ رِزْقٌ تَطْلُبُهُ وَ رِزْقٌ يَطْلُبُكَ فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ مَا أَقْبَحَ الْخُضُوعَ عِنْدَ الْحَاجَةِ وَ الْجَفَاءَ عِنْدَ الْغِنَى إِنَّمَا لَكَ مِنْ دُنْيَاكَ مَا أَصْلَحْتَ بِهِ مَثْوَاكَ وَ إِنْ كُنْتَ جَازِعاً عَلَى مَا تَفَلَّتَ مِنْ يَدَيْكَ فَاجْزَعْ عَلَى كُلِّ مَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ اسْتَدَلَّ عَلَى مَا لَمْ يَكُنْ بِمَا قَدْ كَانَ فَإِنَّ الْأُمُورَ أَشْبَاهٌ وَ لَا تَكُونَنَّ مِمَّنْ لَا تَنْفَعُهُ الْعِظَةُ إِلَّا إِذَا بَالَغْتَ فِي إِيلَامِهِ فَإِنَّ الْعَاقِلَ يَتَّعِظُ بِالْآدَابِ وَ الْبَهَائِمَ لَا تَتَّعِظُ إِلَّا بِالضَّرْبِ. اطْرَحْ عَنْكَ وَارِدَاتِ الْهُمُومِ بِعَزَائِمِ الصَّبْرِ وَ حُسْنِ الْيَقِينِ**))[٢٠].

نظّم الله تبارك و تعالى و حدد العلاقات و الحقوق العائلية ، و الحب العائلي بين الأقارب في آيات كثيرة من القرآن الكريم ، قال تعالى: ﴿ **وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾[٢١] ،و قال تعالى: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ﴾ (الأحزاب:٦) ، و الأولاد فلذات أكباد آبائهم ؛لأنهم الامتداد الطبيعي لهم لذلك يكون الاهتمام بهم أكثر من سائر الأقارب و بالأخص لو كان الولد سيحمل إرث أبيه في قيادة الأمة[٢٢] .

في هذا النص جاءت أداة النداء لتنبيه المتلقي إلى أهمية الأمر الوارد في السياق اللغوي و الذي سلك فيه المبدع أسلوب الناصح لفلذة كبده الإمام الحسن ﴿عليه السلام﴾ فما أروع هذا الأسلوب الذي يمتع المتلقي و يقنعه ليوصله الى أعلى مراتب الحب لله تبارك و تعالى ، فكان النداء موجها إلى ذهن المتلقي

إلى هذا الجانب مبيّنا أهميته القصوى ، ثمّ أعلم الإمام ﴿عليه السلام﴾ ولده إلى ما يفيد الإنسان من هذه الدّنيا هو إصلاح أمر آخرته وطرد الهموم بملازمة الصبر الثابت و اليقين الصادق [٢٣]، لقد كان النداء هنا حقيقيا و لم يأخذ ناحية مجازية ربما لأنه في سياق الوعظ و الإرشاد ، و ربما لأن النداء يشكل حلقة وصل متينة بين المنادي و المنادى في سياق كالسياق الذي أورده ﴿عليه السلام﴾ ، فلفظة (بني) تحمل دفئ الانتماء الأسري المليء بالوجدان و الحب ، و نداؤه نداء حب ، و هذا يبعد سياق الوعظ عن النبرة الآمرة ، و يجعل سياق الحديث مليئا بالحب و الرغبة في السمو بمن نحب ، و محاولة جعله قريبا دائما أو الحفاظ على قربه بهدف الحفاظ عليه من النواحي كلها ، فيجعل النداء خطاب حب و أمل و يجعل المتلقي مقتنعا بما آل إليه المعنى بهدف صونه من النواحي كلها .

٣- الدعاء

يعد الدعاء شكلا من الأشكال الفنية ، فهو يقوم من حيث المظهر الخارجي على عنصر المحاورة الانفرادية ، و من حيث المظهر الداخلي على عنصر العاطفة و الوجدان، و هذان المظهران يمثلان الركيزة الأساسية للدعاء، و يوضع كلام الإمام ﴿عليه السلام﴾ بالمرتبة الثالثة من الاعجاز البلاغي بعد القرآن و الحديث النبوي الشريف ؛ لأن في كلام الإمام ﴿عليه السلام﴾ مسحة من الكلام الإلهي ، و نفحة من كلام النبي الأكرم ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ ، و بلاغته تحمل من الفن الجميل و الذوق الرفيع مما يجعلها تنسجم مع كل عصر و زمان[٢٤].

و قد ورد هذا الاسلوب في نصوص نهج البلاغة ، فمن خطبة له يبيّن فضل الإسلام و يذكر فيها النبي﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ جاء فيها:((**حَتَّى أَوْرَى قَبَساً لِقَابِسٍ وَ أَنَارَ عَلَماً لِحَابِسٍ فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ وَ شَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ وَ بَعِيثُكَ نِعْمَةً وَ رَسُولُكَ بِالْحَقِّ رَحْمَةً اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَهُ مَقْسَماً مِنْ عَدْلِكَ وَ اجْزِهِ مُضَعَّفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ اللَّهُمَّ أَعْلِ عَلَى بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاءَهُ وَ أَكْرِمْ لَدَيْكَ نُزُلَهُ**

وَ شَرِّفْ عِنْدَكَ مَنْزِلَهُ وَ آتِهِ الْوَسِيلَةَ وَ أَعْطِهِ السَّنَاءَ وَ الْفَضِيلَةَ وَ احْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِ غَيْرَ خَزَايَا وَ لَا نَادِمِينَ وَ لَا نَاكِبِينَ وَ لَا نَاكِثِينَ وَ لَا ضَالِّينَ وَ لَا مُضِلِّينَ وَ لَا مَفْتُونِينَ))[٢٥] .

يتجلى في خطاب الإمام ﴿عليه السلام﴾ اسمى معاني الحب مستهلا إياه بأسلوب الدعاء للنبي ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ ، و لا ريب أن المبدع هو الأعلم و الأعرف بأسرار هذا الدعاء كما هو الأعرف بالرسول الكريم و ما خفي على الناس ، فكثير منهم يمتلك شعور الحب لنبي الإسلام ، لكنه لا يهتدي الى التعبير المناسب لإعطاء هذه الصورة حقها، فالمبدع العظيم سلك سبيل الدعاء لرسم هذه الصورة التي تحقق على إثرها إمتاع المتلقي و إقناعه ، فبدأ الإمام حديثه بتمجيد النبي الأكرم بقوله : (**حَتَّى أَوْرَى قَبَساً لِقَابِسٍ**): أي أنه أظهر نور الحق ، ثم قال : (**وَ أَنَارَ عَلَماً لِحَابِسٍ فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ وَ شَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ وَ بَعِيثُكَ نِعْمَةً وَ رَسُولُكَ بِالْحَقِّ رَحْمَةً**) ، فالأصل في إنارة العلم للحابس هو أن يوقد النار عليه و يستنار الضال به و الحابس أي الذي حبس ناقته و وقف لا يدري كيف يهتدي المنهج ، و استعاره هنا لإظهاره ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ أنوار الهداية ليهتدي بها من حبسته ظلمة الحيرة و الشبهة عن سلوك طريق الحق و قد حقق هذا اللون البلاغي جمالية في النص تحقق على إثرها امتاع المتلقي و إقناعه ، فالنبي الأكرم أمين الله تعالى و بعيثه و هو رحمة للعالمين ، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾(الانبياء: ١٠٧)، وهذه الأوصاف تبعث الراحة و الطمأنينة للسامع ، فجاءت هذه الكلمات التي صاغها ﴿عليه السلام﴾ مقدمة للدعاء مما جعله مثيرا للمتلقي، و مشوقا لشعوره الباطني ، فأول الدعاء طلب للنبي الاكرم أن يبلغ اقصى مراتب القرب والوصول بما لديه من القابلية والاستعداد النفسي فقال :(**اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَهُ مَقْسَماً مِنْ عَدْلِكَ**) و لما دعا له بما يستحقه زاد على ذلك فقال : (**وَ اجْزِهِ مُضَعَّفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ**) : أي

أعلى درجات الكمال ثم خصّه بالتفضيل على جميع الانبياء و المرسلين بقوله : (**أَعْلِ عَلَى بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاءَهُ**) :أي اجعل منزلته في دار الثواب اعلى المنازل ، ثم قال : (**وَ أَكْرِمْ لَدَيْكَ نُزُلَهُ وَ شَرِّفْ عِنْدَكَ مَنْزِلَهُ وَ آتِهِ الْوَسِيلَةَ**) حيث استعار المبدع لفظ (النزل) لما هيأه تبارك و تعالى في حقه من الثواب الجزيل و الأجر الجميل في حظيرة القدس و (آته الوسيلة) هو امتثال لما طلبه النبي من امته بقوله : سلوا الله لي الوسيلة ، و بعد ذلك انتقل المبدع بالدعاء للمؤمنين و لنفسه بأن يؤتيه الله ما يتوسل به اليه و يقربه منه، و هو ان يكمل استعداده لما هو أتم القوة على الوصول إليه(٢٦) .

يعد الدعاء بـ (**اللهمّ**) من أكثر الأسماء التي استعملها أمير المؤمنين في نصوص نهج البلاغة، و لفظ (**اللهمّ**) يتضمّن (**يا**) النداء المحذوفة التي عُوّض عنها بحرف (**الميم**) المضعّفة، و الأصل في هذا اللفظ (**يااللّه**)، فالدعاء الذي أورده الإمام ﴿عليه السلام﴾ بتكرار لفظ (**اللهمّ**) اكثر من مرة له دلالته في كل لفظة ذكرها فمنح النص صورا متنوعة بأسلوب يمتع السامع و يُقنع لبّه. ثم " يأتي دور المتلقي تجاه هذه الصورة ؛لأنه بعد ذكر هذه الصفات التي ميزت هذه الصورة من غيرها و كانت الأولى على جميع الصور الإلهية الخاصة و العامة بما حوته ألوانها الراقية من عبودية و رسالة حب خاتمة لجميع من سبق ، و فتحها كل ما انغلق من ابواب الهداية و دمغها باطل الجاهلية بحق الاسلام حتى أورى قبس الطريق لمن أراد أن يسلكه الى الجنة ، أدخل هذا الاسلوب في شعور المتلقي القناعة أن لهذه الصورة حقا عليه لابد من الوفاء به " (٢٧) .

و من الدعاء أيضا ما ورد من كلام له ﴿عليه السلام﴾ يذكره إذا لقي العدو محاربا جاء فيه :((**اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَفْضَتِ الْقُلُوبُ وَ مُدَّتِ الْأَعْنَاقُ وَ شَخَصَتِ الْأَبْصَارُ وَ نُقِلَتِ الْأَقْدَامُ وَ أُنْضِيَتِ الْأَبْدَانُ اللَّهُمَّ قَدْ صَرَّحَ مَكْنُونُ الشَّنَآنِ وَ جَاشَتْ مَرَاجِلُ الْأَضْغَانِ اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ غَيْبَةَ نَبِيِّنَا وَ كَثْرَةَ عَدُوِّنَا وَ تَشَتُّتَ أَهْوَائِنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَ بَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَ أَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ**))(٢٨) . " حب الله

هو أعظم حب في الوجود، ليس قبله حب أو بعده حب، به تعالج أمراض القلوب وتنتهي نزعات النفوس، وبه أيضاً ينقذ المجتمع مما يعج به من ويلات مهلكة للنفس والإيمان ،ويمثل الدعاء أحد أهم الوسائل التي تقرب العبد من خالقه و تحببه له؛ لأن الدعاء يُشعر العبد بالضعف تجاه خالقه وأن لا منقذ و لا مخلّص له غير الله جلّ جلاله" [٢٩]، فالدعاء يمثل أقصى حالات انقطاع العبد الى الله تبارك وتعالى ، و به تستقر النفس و تأنس باللطف و العناية الربانية ؛لأن الباري عزّ وجل يسمع دعاءها و يلبي نداءها ، قال تعالى:﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (سورة البقرة :١٨٦) وقد تكرر لفظ (**اللهم**) في دعاء الإمام ﴿عليه السلام﴾ ثلاث مرات و هذا التكرار يشير إلى شدة تقرب المبدع إلى خالقه ، و عندما نتفحص أدعية المبدع نجدها مشتملة على صور بلاغية متنوعة تتشكل من فنون بيانية مختلفة من استعارة و مجاز و كناية ، حيث تداخلت الصور المختلفة فيما بينها لتكوين أسرار فنية ذات صبغة جمالية تجذب العقول وترنو اليها النفوس مما تحقق على إثرها امتاع المتلقي و إقناعه، ففي قول الأمام: (**اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَفْضَتِ الْقُلُوبُ وَ مُدَّتِ الْأَعْنَاقُ وَ شَخَصَتِ الْأَبْصَارُ وَ نُقِلَتِ الْأَقْدَامُ وَ أُنْضِيَتِ الْأَبْدَانُ**) ، فمد العنق يعني تطويله كناية عن الميل و التطلع ، ثم يشرع في باقي فقرات الدعاء (**اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ غَيْبَةَ نَبِيِّنَا وَ كَثْرَةَ عَدُوِّنَا وَ تَشَتُّتَ أَهْوَائِنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَ بَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَ أَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ**) ؛ إذ يشكو ﴿عليه السلام﴾ الى الله تعالى فقد النبي الأكرم و ما تبع وفاته ﴿ صلى الله عليه وآله وسلم ﴾ من زيغ و فتن و أحقاد وغيرها[٣٠] .

٤- الأمر

الأمر لغة : " نقيض النهي : أمره به ، و أمره إياه على حذف الحرف يأمره أمرا و إمارا فأتمر : أي قبل الأمر"[٣١] ، قال تعالى : ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[٣٢].

أما اصطلاحا فيعرّف بأنه: " طلب حدوث الفعل على جهة الاستعلاء وجوبا أو ندبا بتبادل ذلك المعنى إلى فهم السامع عند سماعه هذه الصيغة و يعتبر التبادل إلى الفهم أقوى دلائل الحقيقة غالبا " (٣٣) .

و قد ورد هذا اللون من الأساليب في نصوص نهج البلاغة على شكل فعل أو صيغة تعطي معنى الأمر، فمن كتاب لأمير المؤمنين ﴿عليه السلام﴾ إلى الحارث الهمذاني جاء فيه : ((**وَ تَمَسَّكْ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ وَ اسْتَنْصِحْهُ وَ أَحِلَّ حَلَالَهُ وحَرِّمْ حَرَامَهُ وَ صَدِّقْ بِمَا سَلَفَ مِنَ الْحَقِّ وَ اعْتَبِرْ بِمَا مَضَى مِنَ الدُّنْيَا لِمَا بَقِيَ مِنْهَا ... وَإِيَّاكَ أَنْ يَنْزِلَ بِكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ آبِقٌ مِنْ رَبِّكَ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا وَإِيَّاكَ وَ مُصَاحَبَةَ الْفُسَّاقِ فَإِنَّ الشَّرَّ بِالشَّرِّ مُلْحَقٌ وَ وَقِّرِ اللَّهَ وَأَحْبِبْ أَحِبَّاءَهُ وَ احْذَرِ الْغَضَبَ فَإِنَّهُ جُنْدٌ عَظِيمٌ مِنْ جُنُودِ إِبْلِيسَ**))(٣٤) .

إن التمسك بالقرآن الكريم و المحافظة على تلاوته له تأثير إيجابي في شخصية الأنسان و هو المسلك الحق للإبداع و القيادة و السعادة و النجاح ، يقرّب العبد من محبوبه الحقيقي و يهديه إلى الصراط المستقيم ، لذا فإن الإمام ﴿عليه السلام﴾ يحث أصحابه على التمسك بكتاب الله تعالى ، فبدأ المبدع العظيم حديثه بصيغة فعل الأمر واعتمدها كوسيلة لتنبيه المتلقي ، و مناسبة المقام هو كونه ﴿عليه السلام﴾ مفترض الطاعة في أوامره مع السامع ، و قد حمل خطاب الإمام في طياته الموعظة و النصيحة و الا رشاد حيث تجلت معاني الحب بأبهى صورها لما تحققه من اقناع المتلقي و امتاعه و تُشعره بأن إمامه و قائده حريص على سعادته في الدنيا و الآخرة ، وقد حمل الخطاب مجموعة من صيغ الأمر (**تمسك ، استنصحه، أحلّ ، حرّم، صدّق ، وقّر، أحبب ،احذر**)، فصيغة الأمر (**تمسّك**)،(**وَ تَمَسَّكْ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ وَاسْتَنْصِحْهُ وَأَحِلَّ حَلَالَهُ وَحَرِّمْ حَرَامَهُ وَصَدِّقْ بِمَا سَلَفَ مِنَ الْحَقِّ وَاعْتَبِرْ بِمَا مَضَى مِنَ الدُّنْيَا لِمَا بَقِيَ مِنْهَا**) هي تمهيد وتهيئة ذهنية للمتلقي مفادها أن يتمسك بحبل القرآن فاستعار لفظ الحبل و أراد من ذلك لزوم العمل بتعاليمه و أوامره و نواهيه ، و أن يتخذه ناصحا ؛

لأنه يهدي الى الصراط المستقيم ، و أن يعتقد يقينا أن ما فيه من الحلال و الحرام هو حلال و حرام و يقف عند اعتقاده و يعمل بمقتضاه ، و يصدّق بما سلف من الحق مما ذكره القرآن الكريم من أحوال القرون الأولى و أحوال الأنبياء مع أممهم ليصح منه الاعتبار، ثمّ حذّره أن ينزل به الموت حال ما هو آبق من ربه ،(**وَ إِيَّاكَ أَنْ يَنْزِلَ بِكَ الْمَوْتُ وَ أَنْتَ آبِقٌ مِنْ رَبِّكَ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا وَ إِيَّاكَ وَ مُصَاحَبَةَ الْفُسَّاقِ فَإِنَّ الشَّرَّ بِالشَّرِّ** ...) ، و استعار له الآبق باعتبار خروجه عن أوامره و نواهيه في طلب الدنيا ، و حذّره من صحبة الفسّاق لأن القرين بالمقارن يهتدي ، و أمره أن يجمع بين توقير الله و تعظيمه و بين محبّة أحبائه و أوليائه وهما اصلان متلازمان[٣٥] ؛ فنبّه بأسلوب التحذير المخاطَب على أمر قد يقع له شر من ورائه ، و هو نزول الموت و هو آبق ، و مصاحبة الفساق ، و هذا يجسد شعور حب و خوف على الآخر ، علما أن الشعور بالحب و الخوف على الآخر يمثل قيمة جمالية ، لذا كانت البداية طلبا بصيغة فعل الأمر (تمسّك)، و هذا الطلب أسلوب بلاغي يمثل حالة من حالات الأسلوب الانشائي الطلبي الذي يظهر الانفعال و الحب و الاقناع ، لكن الأمر (تمسك) وفي التمسك شدة التشبث بالأرض ،وفي هذه العبارة اقتباس لجأ إليه﴿عليه السلام﴾ من قوله تعالى:﴿ **وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا** ﴾(آل عمران: ١٠٣) .

لذا نلحظ حركية الطلب في زوايا متعددة بدأها بفعل أمر و تلاه أمر آخر، ثم التحذير ، و هذا الأمر ضروري لتبيان حبه ﴿عليه السلام﴾ فأثار الحافظة الجمالية لكنه كان مشبعا بالحب، وتضافرت الجزئيات مكونة المشهد الشعوري بمتعة و تمت مخاطبة العقل بعد أسلوب التحذير و قبله؛ لأن الأمر يستدعي مطلوبا و يشد انتباه القارئ محققا المتعة و الاقناع ،" و لعل الذي دفع المبدع لاستعمال صيغة الأمر هو ما توحي به من دلالة النصح و الارشاد و التوجيه و هو ما

يكون أبلغ تأثيرا في شعور المتلقي ليقوده في طريق التفاعل معها " [٣٦] ، و الامتثال لتعاليم القرآن الكريم .

و من خطبة له أيضا جاء فيها : ((**فَتَأَسَّ بِنَبِيِّكَ الْأَطْيَبِ الْأَطْهَرِ (صلى الله عليه وآله) فَإِنَّ فِيهِ أُسْوَةً لِمَنْ تَأَسَّى وَ عَزَاءً لِمَنْ تَعَزَّى وَ أَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ الْمُتَأَسِّي بِنَبِيِّهِ وَ الْمُقْتَصُّ لِأَثَرِهِ قَضَمَ الدُّنْيَا قَضْماً وَ لَمْ يُعِرْهَا طَرْفاً أَهْضَمُ أَهْلِ الدُّنْيَا كَشْحاً وَ أَخْمَصُهُمْ مِنَ الدُّنْيَا بَطْناً عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا وَ عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَبْغَضَ شَيْئاً فَأَبْغَضَهُ وَ حَقَّرَ شَيْئاً فَحَقَّرَهُ وَ صَغَّرَ شَيْئاً فَصَغَّرَهُ وَ لَوْ لَمْ يَكُنْ فِينَا إِلَّا حُبُّنَا مَا أَبْغَضَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ تَعْظِيمُنَا مَا صَغَّرَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ لَكَفَى بِهِ شِقَاقاً لِلَّهِ وَ مُحَادَّةً عَنْ أَمْرِ اللَّهِ**))[٣٧] .

الطابع المهيمن في خطاب المبدع هو التأسي برسول الإسلام ﴿ ﷺ ﴾ ، و هو ما جاء متواشجا مع قوله تبارك و تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (الاحزاب: ٢١)و قدّم الاسلوب الذي سلكه المبدع الدليل القطعي للسامع بأن (الأسوة) مفتاح موضوع النص ليقنعه بمدى أهمية هذه (الأسوة) ، فكأنّ المتلقي أقرّ بما أُلقي إليه ، لذا جاء الأمر بصيغته المتواشجة مع مفتاح النص ليعطي الدلالة الصورية أبعادا ممتعة بتكراره بطريقة اشتقاقية لا يشعر المتلقي بالملل عند سماعها و تكون مقبولة في نفس المتلقي و منسجمة مع شعوره ، فقول الإمام:(**فَتَأَسَّ بِنَبِيِّكَ الْأَطْيَبِ الْأَطْهَرِ**) ثمّ تبعه (**فَإِنَّ فِيهِ أُسْوَةً لِمَنْ تَأَسَّى وَ عَزَاءً لِمَنْ تَعَزَّى**) إذ لو اختلج في نفس المتلقي ما ذُكر على هيأة سؤال سيجد جوابه في النص نفسه و هو قول المبدع (**أَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ الْمُتَأَسِّي بِنَبِيِّهِ وَ الْمُقْتَصُّ لِأَثَرِهِ**) و هذا ما كان منسجما كل الانسجام مع قوله تبارك و تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (آل عمران: ٣١)، ثم جاء الاستئناف

البياني بقوله **(قَضَمَ الدُّنْيَا قَضْماً)** و أراد بقضمه اقتصاره ﴿ ﷺ ﴾ في الدنيا على قدر الضرورة ، و قوله : **(وَ لَمْ يُعِرْهَا طَرْفاً أَهْضَمُ أَهْلِ الدُّنْيَا كَشْحاً وَ أَخْمَصُهُمْ مِنَ الدُّنْيَا بَطْناً عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا)** ،فهو لم يجعل الدنيا مطمح نظره و هو كناية عن عدم التفاته إليها و **(أهضم ...)** كناية عن كونه أقلهم شبعا و أشدهم جوعا، وانه ﴿ ﷺ ﴾ صغّر و حقّر ما صغره الله وحقره [٣٨] .

٥- القسم

و قد ورد هذا اللون من الأساليب في نصوص نهج البلاغة ، فمن كلام له ﴿عليه السلام﴾ و قد استبطأ أصحابه إذنه لهم في القتال بصفين جاء فيه : **((أَمَّا قَوْلُكُمْ أَ كُلَّ ذَلِكَ كَرَاهِيَةَ الْمَوْتِ فَوَ اللَّهِ مَا أُبَالِي دَخَلْتُ إِلَى الْمَوْتِ أَوْ خَرَجَ الْمَوْتُ إِلَيَّ وَ أَمَّا قَوْلُكُمْ شَكّاً فِي أَهْلِ الشَّامِ فَوَ اللَّهِ مَا دَفَعْتُ الْحَرْبَ يَوْماً إِلَّا وَ أَنَا أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِي طَائِفَةٌ فَتَهْتَدِيَ بِي وَ تَعْشُوَ إِلَى ضَوْئِي وَ ذَلِكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَهَا عَلَى ضَلَالِهَا وَ إِنْ كَانَتْ تَبُوءُ بِآثَامِهَا))**[٣٩] .

أراد المبدع العظيم في هذا الخطاب أن يوصل رسالة مفادها أن المهمّة الاساسية لنا هي هداية الناس إلى سبيل الحق و هي مهمّة الأنبياء و الأولياء ، فالإمام ﴿عليه السلام﴾ يطمع أن تلحق به طائفة من هؤلاء القوم ممن تجذبهم العناية الربانية فتهتدي به و تعشو إلى ضوء عمله و كماله ، و كان ذلك أحب ّ إليه من قتلهم و ضلالتهم ، فاختار المبدع العظيم هذا اللون من الأساليب و هو القسم بلفظ الجلالة ليس لمدح النفس أو بيان مكانتها ، و إنما هو اختيار لأسلوب أكثر اقناعا للمتلقي و بيان الصورة الحقيقة التي ينبغي أن يكون عليها المصلح فقول الإمام : **(أَمَّا قَوْلُكُمْ أَ كُلَّ ذَلِكَ كَرَاهِيَةَ الْمَوْتِ فَوَاللَّهِ مَا أُبَالِي دَخَلْتُ إِلَى الْمَوْتِ أَوْ خَرَجَ الْمَوْتُ إِلَيَّ وَ أَمَّا قَوْلُكُمْ شَكّاً فِي أَهْلِ الشَّامِ)**:أي ضرورة أن العارف بالله بمعزل عن تقية الموت خصوصا من بلغ الغاية في

الكمالات النفسانية و الخصال القدسية ، و اختيار الإمام لفظ (تعشو)؛ لأن فيه تعريض بضعف بصائر أهل الشام ، فهم في الاهتداء بهداه كمن يعشو ببصر ضعيف إلى النار في الليل ، فالدور الرئيس في هداية الناس هم الأنبياء و الأولياء في اهتداء الخلق بهم و الاكتساب من كمالاتهم و الاستضاءة بأنوارهم و لذلك ترتب عليه قوله:(**وَ ذَلِكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَهَا عَلَى ضَلَالِهَا وَ إِنْ كَانَتْ تَبُوءُ بِآثَامِهَا**) ، إذ تبرز جمالية أسلوب القسم في محاولة ترسيخ الفكرة التي يود المبدع إيصالها و يعطي مجالا لتوكيد المعنى ، و خصوصا أن قوله (فو الله) يحمل قوة النبرة الايقاعية و ما تنتجه من متعة و تأثير مقنع ، و يحمل أيضا اقناعا خاصا ؛ لأنه نوع من أنواع أسلوب التوكيد يؤكد المبدع بوساطته عدم اكتراثه بالموت ؛ لأن الموت برزخ عبور إلى حياة خالدة ، و بهذا أقنعنا بشجاعته في مواجهة الموت ،و أبرز الحب العميق الصادق الذي عكسه خطابه ﴿عليه السلام﴾ .

و منه أيضا قوله ﴿عليه السلام﴾ عقب اسلوب التعجب : ((**فَمَا أَعْظَمَ مِنَّةَ اللَّهِ عِنْدَنَا حِينَ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِهِ سَلَفاً نَتَّبِعُهُ وَ قَائِداً نَطَأُ عَقِبَهُ وَ اللَّهِ لَقَدْ رَقَّعْتُ مِدْرَعَتِي هَذِهِ حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِهَا وَ لَقَدْ قَالَ لِي قَائِلٌ أَ لَا تَنْبِذُهَا عَنْكَ فَقُلْتُ اغْرُبْ عَنِّي فَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى**))[٤٠].

كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﴿عليه السلام﴾ إماماً من أئمة الزهد، حيث عزف عن الدنيا بجميع ملذاتها ؛لأن قلبه ﴿عليه السلام﴾ كان ملكا لله تعالى وحده و ذلك بتأسيه برسول الله ﴿ صلى الله عليه وآله وسلم ﴾ حيث كان مثله الأعلى، و كذا يتضح لنا مدى تأثر المبدع بصورة النبي الأكرم و ماهي نتائج اتباعها واحتذاء خطواتها، " و قد أوضح الإمام ذلك الاتباع و التأسي بالإشارة إلى مراتب زهده ، و فيه عبرة لمن اعتبر، فقوله ﴿عليه السلام﴾ :(**وَ اللَّهِ لَقَدْ رَقَّعْتُ مِدْرَعَتِي هَذِهِ حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِهَا**) والمدرعة هي ثوب من صوف يتدرّع به و(استحييت من راقعها)

لكثرة رقاعها و قوله : (ألا تنبذها ...) :أي تطرحها ، و قوله : (فعند الصباح ...) وهو مثل يضرب لمن احتمل المشقة عاجلا لينال الراحة آجلا " [٤١] ، و في هذا الاسلوب " إذ المبدع في مقام بيان صورة النبي الاكرم ﴿ صلى الله عليه وآله وسلم ﴾ قرينة على صرف المدح عن نفسه ،أو أنه كان يعنيها مثلا ، بل يتحدث بوصفه شخصا ثالثا يراقب صورة النبي الاكرم ﴿ صلى الله عليه وآله وسلم ﴾ و أفضل من تأسى بها فكان خير ممثل له ﴿ صلى الله عليه وآله وسلم ﴾ و ليس اعتدادا بالنفس كلا فما هذا من فعال الإمام ﴿عليه السلام﴾ ، بل هو يقول إن صورة هذا النبي الذي أمرتكم باتباعه و عجبت ممن لا يعرف منة الله عليه به أقسم لكم أنه يستحق أن نتأسى و نقتدي به ؛لأن تلميذه و من يلوذ به حتى في المعارك، وصل الى درجة الزهد التي لا يغير ثوب الصوف مع كثرة رقاعه و لا يرضى بنبذها عنه و احتمل مشقتها العاجلة لنيل الراحة الآجلة ، فكان اسلوب القسم مقنعا للمتلقي بصدق التصوير و أن الصورة النبوية حق أحق ان يتبع و مثل أعلى يحتذى به " [٤٢].

الخاتمة

لم يخف على المتلقي أثر خطاب الحب في تحقيق الاقناع والامتاع، و الامتاع يعمق العملية التواصلية .. و هذا أساس هدف المبدع العظيم في نهجه، و وجدنا في بحثنا أيضا قدرة اللغة بأساليبها المتنوعة من نداء واستفهام و طلب وغير ذلك على تكوين نبرة انفعالية تجذب المتلقي إلى خطاب الحب وتغذيه بالمتعة و الفائدة و تقدم له من الإيحاءات و الدلالات ما يجعله متلقيا مميزا .

هوامش البحث

(١) صورة النبي في نهج البلاغة ، ص١٤١

(٢) جدلية الإفراد و التركيب في النقد العربي القديم ، د . محمد عبد المطلب ، الشركة المصرية للنشر ، ط ١ ، ١٩٩٥ ، ص ١٣٤

(٣) نهج البلاغة ، الخطبة ١٧٥ ، ص ٣١٤

(٤) منهاج البراعة ، ج١٠ ، ص ١٥٣ - ١٥٦
(٥) صورة النبي في نهج البلاغة ، ص ١٤٣- ١٤٤
(٦) نهج البلاغة ، الخطبة ١٥٤ ، ص ٢٦٩
(٧) القرآن الكريم عند أهل البيت ، مقال منشور على الأنترنت ، https://www.imamreza.net/old/arb/imamreza.php?id=1037
(٨) في ظلال نهج البلاغة ، ج٣ ، ص ١٥٣ - ١٥٤
(٩) ينظر : منهاج البراعة ، ج ٩ ، ص ٢١٥ - ٢١٦
(١٠) ينظر : صورة النبي في نهج البلاغة ، ص ١٤٥ - ١٤٦
(١١) لسان العرب ، مج ١٥ ، ص ٣١٣
(١٢) شرح المفصل ، ابن يعيش النحوي ، تصحيح و تعليق مجموعة من العلماء ، مصر ، ط١ ، ج ٨ ، ص ١١٨
(١٣) دعاء الامام علي عليه السلام دراسة نحوية اسلوبية ، محمد اسماعيل عبد ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة بابل ، ٢٠٠٦ ، ص ٧٩
(١٤) نهج البلاغة ، كتاب ٢٣٥ ، ص ٤٥١
(١٥) الحب في القرآن الكريم ، ص ١٧٣
(١٦) منهاج البراعة ، ج ١٥ ، ص ٦١ - ٦٧
(١٧) صحيح البخاري ، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري الجعفي ، ت ٢٥٦ه ، د. ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، ١٩٨١ ، ج١ ، ص ٩
(١٨) ينظر ، صورة النبي في نهج البلاغة ، ص ١٤٩
(١٩) ينظر : شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد : ج ١٣ ، ص ١٨ ، شرح نهج البلاغة لابن ميثم : ج ٤ ، ص ١٠٧ ، ، منهاج البراعة : ج ١٥ ، ص ٦٧ ، ، صورة النبي في نهج البلاغة : ص ١٥٠ - ١٥٣
(٢٠) نهج البلاغة ، كتاب ٣١ ، ص ٤٩٦
(٢١) الانفال ، آية ٧٥
(٢٢) ينظر : الحب في القرآن الكريم ، ص ٢١٣
(٢٣) ينظر : شرح نهج البلاغة : عباس الموسوي ، ج ٤ ، ص ٢٩٢ ، صورة النبي في نهج البلاغة ص ١٥٥

(٢٤) ينظر : الدعاء في نهج البلاغة ، د . خليل خلف بشير ، بحث منشور ، كلية الآداب ، جامعة البصرة ، ص ١٣ - ١٤

(٢٥) نهج البلاغة ، الخطبة ١٠٦ ، ص ١٩٢

(٢٦) ينظر : شرح نهج البلاغة ، ابن ابي الحديد ، ج ٦ ، ص ٢٧٠ ، منهاج البراعة : ج ٧ ص ٢١٢ – ٢١٣ ، صورة النبي في نهج البلاغة ص١٥٦ - ١٥٩

(٢٧) صورة النبي في نهج البلاغة : ص ١٦١

(٢٨) نهج البلاغة ، الكتاب ١٥ ، ص ٤٧٣

(٢٩) الحب الأعظم حب الله ، مقال منشور على الأنترنت ، https://www.lahaonline.com/articles/view

(٣٠) ينظر : شرح نهج البلاغة ، ابن ابي الحديد ، ج ١٥ ، ص ٧٨ و الدعاء في نهج البلاغة : ص ٣٠

(٣١) لسان العرب : مج ١٤ ، ص ٢٧٤

(٣٢) النحل : آية ١

(٣٣) دراسات في علم المعاني ، عبد الواحد حسن الشيخ ، مكتبة الاشعاع الفنية ، الاسكندرية ، د ط ، ص ٧٨

(٣٤) نهج البلاغة ، الكتاب ٦٩ ، ص ٥٨٧

(٣٥) ينظر : شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم ، ج ٥ ، ص ٢٠٨ - ٢١١

(٣٦) صورة النبي في نهج البلاغة ، ص ١٦٦

(٣٧) نهج البلاغة ، الخطبة ١٦٠ ، ص ٢٨٠

(٣٨) ينظر : منهاج البراعة ، ج ٩ ، ص ٣١٦ – ٣١٩ ، و صورة النبي في نهج البلاغة ، ص ١٦٧ - ١٦٩

(٣٩) نهج البلاغة ، الخطبة ٥٥ ، ص ٩٥

(٤٠) نهج البلاغة ، الخطبة ١٦٠ ، ص ٢٨٠

(٤١) منهاج البراعة ، ج ٩ ، ص ٣٣٢

(٤٢) صورة النبي في نهج البلاغة ، ص ١٧٤

قائمة المصادر و المراجع

١- القرآن الكريم

٢- جدلية الإفراد و التركيب في النقد العربي القديم ، د . محمد عبد المطلب ، الشركة المصرية للنشر ، ط ١ ، ١٩٩٥

٣- الحب في القرآن الكريم ، غازي بن محمد بن طلال الهاشمي ، المكتبة الوطنية ، ط ١٠ ، ٢٠١٥

٤- دراسات في علم المعاني ، عبد الواحد حسن الشيخ ، مكتبة الاشعاع الفنية ، الاسكندرية ، د ط

٥- دعاء الامام علي عليه السلام دراسة نحوية اسلوبية ، محمد اسماعيل عبد ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة بابل ، ٢٠٠٦

٦- الدعاء في نهج البلاغة ، د . خليل خلف بشير ، بحث منشور ، كلية الآداب ، جامعة البصرة

٧- دلائل الاعجاز ،ابو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني ، تصحيح محمد عبده و الشيخ محمد محمود التركزي ، تعليق :محمد رشيد رضا ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٨

٨- شرح المفصل ، ابن يعيش النحوي ، تصحيح و تعليق مجموعة من العلماء ، مصر ، ط١ ، د . ت

٩- شرح نهج البلاغة ، عباس علي الموسوي ، دار الرسول الاعظم ، ط ١ ، بيروت ، لبنان، ١٩٩٨

١٠- شعر زهير بن أبي سلمى دراسة اسلوبية ، أحمد محمد علي محمد ، اطروحة دكتوراه ، كلية الأدآب ، جامعة الموصل ، ٢٠٠٥

١١- صحيح البخاري ، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري الجعفي ، ت ٢٥٦ه ، د. ط ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، ١٩٨١

١٢- صورة النبي في نهج البلاغة دراسة في ضوء منهج الاسلوبية التطبيقية ، د. ناجح جابر الميالي ، اصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة في العتبة الحسينية المقدسة ، كربلاء ، العراق ، ط ١ ، ٢٠١٤

١٣- في ظلال نهج البلاغة ، الشيخ محمد جواد مغنية ، تحقيق : سامي الغريري ، مؤسسة دار الكتاب الاسلامي ، ط ١ ، ٢٠٠٥
١٤- لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٠
١٥- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ابن هشام الانصاري ، تحقيق : د عبد اللطيف محمد الخطيب ، ط١ ، الكويت ، ٢٠٠٠
١٦- نهج البلاغة، للإمام علي بن أبي طالب ، تحقيق : د . صبحي الصالح ، أنوار الهدى ، قم ، ايران ، ط ٤ ، ١٤٣١ ه
١٧- الحب الأعظم حب الله ، مقال منشور على الأنترنت ،
https://www.lahaonline.com/articles/view
١٨- القرآن الكريم عند أهل البيت ، مقال منشور على الأنترنت ،
https://www.imamreza.net/old/arb/imamreza.php?id=1037